أم سلمة

رضي الله عنها

(الحكيمة الرحيمة)

أم سلمة رضي الله عنها

(الحكيمة الرحيمة)

هي هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية .

نشأتها:

نشأت هند في بيت عريق أصيل يجمع من طرفي الجود والشجاعة، فهي ابنة واحد من أجود الناس في قريش وقد سُمي (**زاد الركب**)؛ لأنه كان إذا خرج مع الناس في سفر لم يتخذوا زادًا معهم ولم يوقدوا نارًا مما عرفوا من كرمه وجوده.

ولا ريب أنها تأثرت بهذه البيئة الكريمة، فكانت ذات يد معطاء ونفس صافية.

زواجها من أبي سلمة:

تقدم لخطبتها أحد فتيان قريش المعدودين وهو عبد الله بن عبد الأسد بن عمر بن مخزوم (**أبو سلمة**).

وكان أبو سلمة أخًا للنبي ﷺ من الرضاع، وتم الزواج وكانت أم سلمة تعيش حياة النعيم والرخاء، لكنها في غضون أيام تترك هذا النعيم كله لتنتقل إلىٰ نعيم روحي آخر، فقد سارعت وزوجها إلىٰ الإيمان بالله منذ المراحل الأولىٰ من الدعوة

الهجرة إلى الحبشة:

كانت (**أم سلمة**) رضي الله عنها أول مهاجرة من النساء، هاجرت هي وزوجها إلىٰ الحبشة الهجرتين، كانت الهجرة الأولىٰ في سنة خمس من المبعث، ولما بلغ المهاجرين إسلام قريش عادوا وقبل وصولهم لمكة تبين عدم صحة ما بلغهم فعادوا من حيث أتوا.

قصة الهجرة إلى المدينة:

إنها قصة مؤلمة، فقد كان أبو سلمة أول المهاجرين إلىٰ المدينة، فصحب معه

زوجه أم سلمة وابنه سلمة، فحال المشركون بينه وبينها فاحتبسوها عندهم وفرقوا بينها أيضًا وبين ولدها سلمة، فقد تنازعوه وتجاذبوه فيما بينهم حتىٰ خلعوا يده، فأهل أم سلمة يريدون أن يبقىٰ معهم وأهل أبيه يريدون أن يبقىٰ معهم، فغلب أعمامه أهل أمه فأخوه عندهم بعيد عن حنان أبويه، فاحتملت أمه هذا الفراق المؤلم صابرة، محتسبة، وحيدة قوم لئام، قلوبهم أشد قسوة من الحجارة، لا ترىٰ ولدها، ولا تسمع لزوجها خبرًا يواسيها.

وتحكي أم سلمة عن هذه الأيام المؤلمة والتي استمرت عامًا كاملًا فتقول:

(كنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتىٰ أمسي سنة أو قريبًا منهًا)

ثم هاجرت أم سلمة إلىٰ زوجها ومعها ولدها، وقد رقَّ لها أهلها بعد أن أخذ منها الحزن مأخذًا وبلي جسدها، وأشرفت علىٰ الموت من شدة الضعف والهزال، تروي أم سلمة **قصتها فتقول:**

(ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتىٰ إذا كنت بالتنعيم (علىٰ مشارف مكة) لقيت عثمان بن طلحة فقال:

أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله إلا الله وابني هذا، فقال: والله مالك من مترك، وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني فو الله ما صحبت رجلًا من العرب أراه كان أكرم منه).

والتقىٰ الزوجان بعد عام حافل بالذكريات المضنية، وكانت أم سلمة أول ظعينة من النساء دخلت المدينة.

* وفي ربوع المدينة عاش الزوجان يعبدان الله تعالىٰ ويتزودان بزاد التقوىٰ، وعكفت أم سلمة علىٰ رعاية أبنائها وتربيتهم علىٰ حب الله ورسوله، حتىٰ أصبح أولادها من خيرة الصحابة وهم: زينب و عمر و سلمة ودرة.

وفاة أبي سلمة:

توفي أبو سلمة بعد أن ظل شهرًا يتداوىٰ من جرح عميق في عضده أصابه في غزوة أحد، وبقيت أم سلمة مثالًا للمرأة الصابرة المحتسبة، فقد حزنت علىٰ زوجها الحزن كله، ولكنها لم تقل إلا ما يرضىٰ ربها عز وجل.

روىٰ مسلم في صحيحه عنها قالت: إن أبا سلمة ﷺ حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:- ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلىٰ ما أمره الله به من قول (**إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها- إلا أجره الله في مصيبته**)[1].

فلما مات أبو سلمة ذكرت الذي حدثني به رسول الله ﷺ فكنت أقول: **إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها**).

ثم قلت: أني أعاض خيرًا من أبي سلمة؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد آجرني في مصيبتي.

زواجها من رسول الله ﷺ:

لما وفت أم سلمة عدتها خطبها أبو بكر (ﷺ) فاعتذرت إليه بأدب ولطف، ثم خطبها عمر فلم تجبه بشيء، ثم خطبها رسول الله ﷺ فاستبشرت بذلك خيرًا، ورأت أن الله عز وجل قد أراد بها خيرًا كثيرًا في الدنيا، وأراد لها الفوز في الآخرة.

تقول أم سلمة: لما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهابًا، فسللت يدي منه وأذنت لرسول الله ﷺ ووضعت له وسادة من أدم حشوها ليف، فقعد إليها فخطبني إلىٰ نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، إني امرأة في غيرة شديدة، وإني أخاف أن ترىٰ مني شيئًا تكرهه يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن ذات عيال قال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل ما أصابك، وأما عيالك فإنهم عيالي، قالت: فقلت: قد سلمت أمري إلىٰ رسول الله ﷺ فتزوجني.

عن أم سلمة أخرج محمد بن سعد في الطبقات الكبرىٰ عنها قالت: (**قلت لأبي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها بعده إلا جمع الله تعالىٰ بينهما في الجنة وهي من أهل الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي ولا أتزوج بعدك، قال: أتعطيني؟ قالت: ما استأمرتك - أي شاورتك - إلا وأنا أريد أن أعطيك**).

قال: فإذا أنا متُّ فتزوجي، ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيرًا مني، لا يحزنها، ولا يؤذيها. قالت: فلما مات قلت:- من هذا الذي هو خير من أبي سلمة؟

(1) رواه مسلم في صحيحه (918)، باب ما يقال عند المصيبة، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

في بيت الزوجية:

ومن أول لحظة دخلت فيها أم سلمة بيت الزوجية فإذا بها تقوم بأعباء المنزل وتدير شئونه علىٰ أفضل وجه.

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أيم العرب (**أي أم سلمة العروس**) علىٰ سيد المسلمين أول العشاء عروسًا، وقامت آخر الليل تطحن.

وكانت أم سلمة دائمًا تسعىٰ لإدخال السرور والسعادة علىٰ رسول الله ﷺ، وعاشت معه علىٰ القليل من الزاد والخشن من الثياب والفراش.

مواقف عظيمة:

كان لأم سلمة مواقف تاريخية عظيمة تدل علىٰ رجاحة عقلها وتمسكها بالحق وقدرتها علىٰ ضبط انفعالاتها عند الغضب في غير تعدي كما أنها كانت صافية النفس تحب الخير لكل الناس.

1- **في صلح الحديبية:**

في العام السادس من الهجرة صحبت أم سلمة رسول الله ﷺ في رحلته إلىٰ مكة معتمرًا، وجمع من أصحابه، فصدتهم قريش عن دخول البيت الحرام وقد أزعج ذلك صحابة رسول الله ﷺ، وكبر عليهم أن يعودوا إلىٰ المدينة مخذولين دون أن يؤدوا العمرة، ولكن رسول الله ﷺ قد رأىٰ في الأمر خيرًا، وعلم أن الله لن يخذله، فأمر أصحابه بعد عقد الصلح (**صلح الحديبية**) أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم ويتأهبوا للعودة إلىٰ المدينة، فشقّ ذلك عليهم وما قام منهم أحد، حتىٰ كرر الأمر بالنحر والحلق ثلاث مرات.

فلما لم يقم أحد، قام فدخل علىٰ زوجه أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، ففعل ذلك رسول الله ﷺ ولما رأىٰ الصحابة ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا.

وهكذا نجا الصحابة الكرام من مخالفة الحبيب المصطفىٰ ﷺ وذلك ببركة رأي أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) ورجاحة عقلها.

2- **مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):**

جاء في الصحيحين أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: «**والله كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمرًا حتىٰ أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا؟ فقلت لها: ما لكِ ولما ههنا، فيمَ تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي:- عجبًا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع وإن ابنتك لتراجع رسل الله ﷺ حتر يظل يومه غضبان؟**

فقام عمر وأخذ رداءه من مكانه حتىٰ دخل علىٰ حفصة، فقال لها: يا بُنية.. إنك تراجعين رسول الله ﷺ حتىٰ يظل يومه غضبان؟! فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه فقال:- تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها -يريد عائشة، قال:- ثم خرجت حتىٰ دخلت علىٰ أم سلمة ، لقرابتي منها، فكلمتها فقالت أم سلمة:- عجبًا لك يا بن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتىٰ تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟

قال عمر:- فأخذتني والله أخذًا كسرتني به عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها »

صاحبة القلب الرحيم:

كانت رضي الله عنها رحيمة بكل من حولها، تحب أن تحمل لهم البشرىٰ دائمًا لتدخل السعادة علىٰ قلوب الناس.

فهي التي حملت خبر توبة الله تعالىٰ علىٰ (**أبي لبابة**)، وذلك عندما أرسله الحبيب ﷺ إلىٰ بني قريظة، وكان أبو لبابة حليفًا ليهود بني قريظة في الجاهلية، فلما خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، قرر النبي ﷺ أن ينزلوا علىٰ حكمه فيهم، فأرسل إلىٰ أبي لبابة، فأرادوا أن يستشيروه في أمرهم وسألوه:- هل ترىٰ أن ننزل علىٰ حكم محمد ﷺ؟ فقال لهم أبو لبابة: نعم -وأومأ إلىٰ حلقه بالذبح – أي إنكم إذا نزلتم علىٰ حكمه فلن يكون إلا الذبح – فأحس أبو لبابة أنه قد خان الله ورسوله ﷺ، فندم وعاد فربط نفسه في عمود المسجد وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتىٰ أموت أو يتوب علي مما صنعت.

روىٰ ابن اسحاق بسنده أن توبة أبي لبابة نزلت علىٰ رسول الله من السحر وهو في

بيت أم سلمة فقالت – وقد سمعته يضحك، قلت:- مِمَّ تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك؟

قال: تِيب علىٰ أبي لبابة. قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلىٰ إن شئتِ، قالت: فقمت علىٰ باب حجرتي -وذلك قبل أن يضرب الحجاب علىٰ أمهات المؤمنين – فقلت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك.

العفو الكريم:

كانت أم سلمة (رضي الله عنها) سببًا في أن يسامح النبي ﷺ ابن عمه (**أبو سفيان بن الحارث**) وابن عمته (عبد الله بن أمية) فقد لقيا رسول الله ﷺ بالأبواء فالتمسا الدخول عليه، فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذىٰ والهجو.

وهنا تدخلت أم سلمة (رضي الله عنها)، وكلمت الحبيب ﷺ ليسامحهما ويعفو عن زلتهما فيما مضىٰ، فقالت: يا رسول الله، لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقىٰ الناس بك.

ضبط النفس:

غضبت أم سلمة يومًا علىٰ خادمها، فأرادات أن تضربه بسواك كان في يدها، فما لبثت أن كبحت جماح غضبها قائلة له: اذهب عني، لله در التقوىٰ ما تركت لذي غيظ شفاء !!

وكانت تغار أحيانًا – وهي التي ذكرت أنها شديدة الغيرة عندما تقدم النبي لخطبتها – ولكنها كانت تجالد نفسها فلم يصدر منها أي تصرف خاطئ تجاه ضرائرها.

العلم والفقه:

قال الإمام الذهبي عنها: (**وكانت تعد من فقهاء الصحابيات**)[1].

وكيف لا تصل إلىٰ تلك المرتبة العالية وهي التي سمعت القرآن الكريم والسنة المطهرة من فم الحبيب ﷺ.

لقد كانت ممن يرجع إليها في بعض الأحكام والفتاوىٰ وبخاصة فيما يخص فقه المرأة المسلمة حتىٰ كان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه يرسل إليها فيسألها عن بعض الأحكام.

---

(1) السيرة/ (2/ 203)..

وأما الثروة الحديثية التي أُثرت عن أم المؤمنين أم سلمة فتبلغ ثلاثمائمة وثمانية وسبعين حديثًا، حفظتها عن رسول الله ﷺ.

الرحيل:

كانت أم سلمة رضي الله عنها من المعمِّرات؛ فقد عاشت نحوًا من تسعين سنة، وعاشت الخلافة الراشدة، وامتدت بها الحياة إلىٰ عهد يزيد بن معاوية.

قال الإمام الذهبي: وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.

عمّرت حتىٰ بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغُشي عليها، وحزنت عليه كثيرًا، ولم تلبث بعده إلا يسيرًا وانتقلت إلىٰ الله.

فرضيٰ الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها.

ملامح الشخصية:

كانت أم سلمة رضي الله عنها من أجمل النساء، كانت عاقلة لبيبة حسنة الرأي والفهم، رحيمة طيبة القلب صفية النفس تجاه الناس جميعًا (**وتؤثر الحلم والصفح**)، وفي الوقت ذاته لم تكن تخجل من الصدع بالحق في وضوح وصراحة، قوية في الشدائد تملك زمام نفسها عند الغضب وتبتعد عن مواطن السوء.

خواطر وعبر:

1 – هجرة الأوطان أمر عزيز علىٰ النفوس، ومن فطرة النساء حب البيت والاستئناس بالأهل والعشيرة، فكم كانت تضحية هذه المجاهدة الصبورة التي فرّت بدينها من الفتنة.

وقد ضربت لنا أم سلمة مثلاً رائعًا في التضحية في قصة هجرتها العظيمة إلىٰ المدينة، وقد تحملت فراق الزوج والابن.

وهناك بعض نساء العصر الحديث ممن شابهن أم سلمة في تضحيتها وصبرها، فصبرن علىٰ فراق أزواجهن وهم في سجون الظالمين، وهن يتحملن أعباء أسرهن، ويواجهن الأخطار في شجاعة وجلد، ويحتسبن هذا كله في سبيل الله تعالىٰ، متأسيات بأم سلمة رضي الله عنها.

2 – إن موقف أم سلمة في وفاة زوجها من الوفاء ما لا مثيل له، ويكشف عن مدىٰ الحب الذي كان بينها وبين زوجها، فهي لم تكن ترىٰ أحدًا في الدنيا خيرًا منه، وهو يدعو لها أن يرزقها الله بعد موته من هو خير منه.

فعجبًا لهذه الأنفس؟ أهم بشر مثلنا؟ أم لهم أنفس ملائكية؟

إنه الإيمان واليقين بالله حين يملأ جنبات النفس، فيضفي جمالًا وبهاءً علىٰ الحياة رغم ما بها من آلام.

3- يبدو في شخصيتها شدة الوضوح وشدة الصراحة وقوة الحجة والبيان مع العقل والاتزان، ويتجلىٰ ذلك **في هذه المواقف:**

أ- صراحتها عندما أبلغت النبي ﷺ بما تراه، فقد تكون عقبات في طريق زواجها منه ﷺ، وهي أنها شديدة الغيرة، وأن لديها أبناء، وأنها كبيرة السن، فهي تريد أن تعرف كيف سيكون وضعها وأبناؤها بعد الزواج من رسول الله ﷺ، وقد أغضب هذا سيدنا عمر رضي الله عنه، واعتبرها أنها ردت رسول الله في حين طمأنها النبي وأعطاها جوابًا لكل ما أشارت إليه.

ب- قوة الشخصية تظهر عند الإمساك عن الغضب، فقد أوشكت أن تضرب خادمًا بالسواك ثم أمسكت عن ذلك، وقالت (**فيما معناه**): لله در التقوىٰ، ما تركت لذي غضب أن ينفذ غضبه.

فما بال النسوة اللائي يواصلن الضرب في أولادهن ليل نهار؟

ج- ظهرت قوة الحجة والبيان عندما أفحمت الفاروق عمر بن الخطاب ذا القوة والمهابة بقولها (**عجبًا لك يا ابن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتىٰ تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟**)

فقال عمر (**فأخذتني أخذًا كسرتني به عند بعض ما كنت أجد**)

وا عجبًا لقوة تأثيرها وجرائتها في الحق.

ج- وفي صلح الحديبية عندما أشارت علىٰ النبي مشورتها المعروفة، وحفظت المسلمين من معصية الرسول، وهذا يدل علىٰ حكمتها وعقلها الراجح.

* * *